والإسلام لا بد أن ننظرها . . وإذا الأشواك والأسلاك اكتنفت مسالكنا واعترضت سلوكها ،فإن شيئاً من التأمل المعين على اجتيازها ، وشيئاً من التأنى القادر على تخطيها .. كفيل بأن يدفعنا إلى وضع الأمور فى نصابها .. ورؤية الأشياء تحت ضوء الحقيقة . . ونور اليقين . . قدر مايبدو للعين إن بدا لك أنها قاصرة عن النظر إلى أبعد مما يمكن لها أن تمد البصر . . والفكر ، إن بدا لك مرتداً عن الأفق المشدود بعيداً وراء حيز الأفكار .

بدأ النقاش في الفصل الثالث إذن حول مسألة العصر الأدبى ، هل يساير العصر السياسى ويتصل به بصلات ، أم أنه ينفصل عنه بألوان من الهجر والصد والتباعد .. ولم تكن غايتنا أن نناقش العصور الأدبية كلها ونستعرض التاريخ الأدبى على طوله وامتداده ، ننظر فى أقسامه ، ونحدد أجزاءه . فقد قصرنا الحوار فيما من شأنه أن يخدم الفكرة ، ويقدم الدليل على أن الجاهلية سواء فى حياتها الدينية والاجتماعية أو فى حياتها الأدبية والفكرية أيضاً قد ألقت عن نفسها غبار الرحلة ، ووصلت إلى نهاية المطاف . . عند عتبات عصر أدبى جديد تمخض تلقائياً عن الحادثة الأدبية الكبرى . . أو الواقعة القرآنية . . على حد تعبير بعض الباحثين . . وهذا ما وصل إليه البحث فى الفصل الثالث من الحوار الذى سلكه مع الباحثين من عرب ومستشرقين من أمثال « بروكلمن » و « نالينو » و «جورجى زيدان» و « مصطفى صادق الرافعى » و « طه حسين » و « جيب » و « بلاشير » .